صراع القوى السياسية في مملكة قشتالة بين ليون ودولة المرابطين (٤٧٩-٥٠١هـ/١٠٨٦-١١٠٧م)

م. د تحرير محمد جعدان

وزارة التربية العراقية / المديرية العامة لتربية بابل

البريد الإلكتروني Email : tahrirmohammed9@gmil.com

الكلمات المفتاحية: مملكة قشتالة، الفونسو السادس، ليون، دولة المرابطين.

كيفية اقتباس البحث

جعدان ، تحرير محمد، صراع القوى السياسية في مملكة قشتالة بين ليون ودولة المرابطين (٤٧٩-٥٠١هـ/١٠٨٦-١١٠٧م)، مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، تشرين الاول ٢٠٢٣،المجلد:١٣ ،العدد:٤ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

The struggle of political forces in the Kingdom of Castile between Leon and the Almoravid state (479-501 AH / 1086-1107 AD)

Dr. Tahrir Mohammed Jadan
Iraqi Ministry of Education
General Directorate of Education of Babylon

Keywords : Kingdom of Castile, Alfonso VI, Leon, the Almoravid state.

How To Cite This Article
Jadan, Tahrir Mohammed, The struggle of political forces in the Kingdom of Castile between Leon and the Almoravid state (479-501 AH / 1086-1107 AD), Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, October 2023,Volume:13,Issue 4.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Abstract

This study deals with the conflict over the Kingdom of Castile and its impact on the relations between the Kingdom of Castile between Leon during the reign of Alfonso VI and the Almoravids, where the light is shed on the campaigns of King Alfonso VI against the Almoravid state in Andalusia in the period 479 AH-501 AH and analyzes a number of treaties that occurred between the two parties to resolve the conflict Between them, the study of the history of the Middle Ages was interested in studying the political aspects of the history of the Spanish Christian kingdoms in Andalusia, due to the multiplicity of relations between the states of the sects and Almoravids with Christian Europe, and in talking about the Kingdom of Castile during the reign of Alfonso and then the struggle between his sons for power and I elaborated on talking about Alfonso VI In Castile and his relationship with the Almoravids, as well as the campaign of the leader of Alfonso the Rahans on the states of the sects, and what distinguishes the era of this king from the emergence of

racism among the Spanish Christians with the aim of expelling Muslims from Andalusia, and in which Alfonso VI became king over the great kingdom of Castile, Leon and Galicia after the killing of his brother Sancho, It ended with the control of some Islamic cities in Andalusia, the crossing of the Almoravids to Andalusia during the reign of Yusuf bin Tashfin, and the victory of the Almoravids in the Battle of Zalaqa.

ملخص البحث

تتناول هذه الدراسة الصراع على مملكة قشتالة وأثره على العلاقات بين مملكة قشتالة وليون في عهد الفونسو السادس والمرابطين، حيث تم تسليط الضوء على حملات الملك الفونسو السادس على دولة المرابطين في الأندلس في الفترة ٤٧٩-٥٠١هـ/١٠٨٦-١١٠٧م وتحليل عدد من المعاهدات التي وقعت بين الطرفين لحل الصراع بينهما، أن دراسة تاريخ العصور الوسطى أهتم بدراسة الجوانب السياسية من تاريخ الممالك المسيحية الإسبانية في الأندلس، وذلك لتعدد العلاقات بين دويلات الطوائف والمرابطين مع أوربا المسيحية، وفي الحديث عن مملكة قشتالة في عهد الفونسو ثم الصراع بين أبنائه على السلطة وأسهبت في الحديث عن الفونسو السادس في قشتالة وعلاقته مع المرابطين ، وأيضاً حملة قائد الفونسو الرهانس على دويلات الطوائف، وما ينماز به عهد هذا الملك من ظهور النزعة العنصرية بين المسحيين الإسبان بهدف طرد المسلمين من الأندلس، وأصبح فيها الفونسو السادس ملكاً على المملكة الكبرى قشتالة وليون وجليقية بعد مقتل أخيه سانشو، وانتهت بالسيطرة على بعض المدن الإسلامية في الأندلس، وعبور المرابطين إلى الأندلس في عهد يوسف بن تاشفين وانتصار المرابطين في معركة الزلاقة .

المقدمة

سلط هذا البحث الوجيز الضوء على مملكة قشتالة وهي عبارة عن إمارة صغيرة أصبحت فيما بعد من أقوى دول شمال إسبانيا ويُعد الملك الفونسو السادس من أعظم ملوك إسبانيا، الذي عاصر فترة حكم الطوائف في الأندلس وهي الفترة التي وصلت فيها البلاد إلى أقصى مراحل الضعف والانحلال السياسي، فاستغل الفونسو السادس ذلك الضعف أمثل استغلال واستطاع أن يوحد الممالك الإسبانية تحت حكمه معززاً بذلك قوتها وثباتها مقابل الجبهة الإسلامية المتفككة والمتهالكة بخلافاتها الداخلية، وقد استطاع الفونسو AlfonsoVI، أن يسيطر على أكبر الحواضر الإسلامية في الأندلس وقاعدة الثغر الأوسط الأندلسي مدينة طليطلة Toledo، أن العلاقات بين مملكة قشتالة وليون وبين الممالك والإمارات المسيحية في داخل جزيرة أيبيريا كأرجون وبرشلونة وأورقلة وبلنسية في عهد السيد القمبيطور كانت جميعها لخدمة حركة الاسترداد الإسبانية ولذلك

كانت تحالفات عسكرية في المقام الأول ولم تصل إلى مرحلة التداخل سوى مع مملكة أراجون، إذ تهيأت الظروف المناسبة لتلك الممالك من فرض سيطرتها السياسية على الأندلس في ظل تفكك وحدة المسلمين مستغلة الظروف التي كانت تعيشها الأندلس الإسلامية. لضرورة تقتضيها الدراسة فقد قسمت البحث إلى مقدمة ومبحثين وتتبعها خاتمة وقائمة مصادر ومراجع. تناولت في المبحث الأول: وصول المرابطين إلى بلاد الأندلس، وخصص المبحث الثاني: علاقة مملكة قشتالة وليون في عهد الفونسو السادس مع المرابطين .

المبحث الأول

وصول المرابطين إلى بلاد الأندلس

أن وصول المرابطين إلى الاندلس يعد من أهم نتائج سقوط مدينة طليطلة[١] على يد الفونسو السادس سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م، وقد استنجد أمراء الطوائف بيوسف بن تاشفين ٤٥٣-٥٠٠هـ/١٠٦١- ١١٠٦م نتيجة لرغبة الفونسو السادس في الاستيلاء على دويلات الطوائف من جهة وتهديده لدويلات الكبرى منها إمارتي بطليوس[٢] واشبيلية[٣] من جهة أخرى[٤].

بدأ الفونسو أولاً بإمارة بطليوس وقد بعث إلى المتوكل بن الافطس صاحب بطليوس في سنة ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م يطلب منه تسليم بعض القلاع والحصون ودفع الجزية ويهدده بالعواقب الوخيمة أذا رفض طلب ذلك[٥]، ولكن المتوكل بن الأفطس رفض ذلك الطلب ورد عليه برسالة شديدة، وندب المتوكل قاضية أبا الوليد الباجي ليطوف على حواضر الأندلس ويدعو الشعب إلى توحيد الصفوف والكلمة ضد العدو، ولكن مهمة القاضي لم تكلل بالنجاح لأن ضعف الأمراء وانهيار مقومات الدولة وتخاذل الشعب فرضت على الحكام استرضاء العدو، أرسل المتوكل بن الأفطس أمير بطليوس رسالة إلى يوسف بن تاشفين يرثى إليه حالهم وما آل إليه أمرهم وقال:" لما كان نور الهدى ذليلك وسبيل الخير سبيلك وصح العلم بأنك لدولة الإسلام أعز ناصر، وعلى غزو الشرك أقدر قادر، وجب ان تستدعي لما أعضل الداء وستغاث فيما أحاط الجزيرة من البلاء، فقد كانت طوائف العدو تطيف بها عند امراط تسلطها واعتدائها..."[٦]، فلما وصلت الرسالة لابن تاشفين أكرم حامليها وطمأنهم، ووعدهم بالأمداد والعبور للأندلس، فتح باب الجهاد في سبيل الله عندما تسنح الفرصة، وتزول العوائق التي تقف في طريق المرابطين.

من خلال الروايات التاريخية يتبين لنا أن المتوكل تلقى من يوسف بن تاشفين كما تلقى ابن عباد كتاباً يعدهُ بالعبور قائلاً:" إلى حضرة أمير المسلمين، أنا نحن العرب في هذه الأندلس، قد تلفت قبائلنا وتفرق جمعنا، وتوالّى علينا هذا العدو المجرم اللعين اذفنش، أسر المسلمين وأخذ

البلاد والقلاع والحصون...واستغثت بحرمكم، لتجوزو الجهاد هذا العدو الكافر، والسلام على حضرتكم السامية، ورحمة الله تعالى وبركاته"[٧]. كذلك من خلال الرسائل المتبادلة هذه يوضح مدى مكانة الفقهاء والعلماء في المجتمع الأندلسي، ومدى تأثيرهم في صنع القرار السياسي والمشاركة فيه .

وقد أشار ابن بلقين علاوة على مدونة السيد أنّه يعّد ذلك وجه الفونسو السادس اهتمامه نحو المعتمد بن عباد أمير اشبيلية وقرطبة، فقد كان أقوى حكام الطوائف، وكان منتظراً منه أن يقوم بمهمة حماية الأندلس، لكنه لم يفعل ذلك بل قضى معظم أيامه بصراعات عديدة في قرطبة حتى اخضعها لنفوذه وكذلك مع ابن رشيق حاكم مرسية، وكان المعتمد يتعامل مع الفونسو السادس معتمداً على المهارة الدبلوماسية كسائر أمراء الطوائف ودفع أداء بالجزية[٨].

أن الفونسو السادس حينما أختار إمارة اشبيلية كان يهدف إلى ضرب القوة الرئيسية لدى المسلمون في الأندلس وبعد ذلك يتمكن بكل سهولة من إخضاع باقي دويلات الطوائف خاصة وأنَّها أضعف من أن تقاوم وأكثرها يدور في فلكه، ومع ذلك فقد اتفق المؤرخين على أن الفونسو السادس راعى شروط المعاهدات المعقودة مع المعتمد، فلم يهاجمه مباشرة بل طلب منه أموراً مستحيلة التنفيذ، فسأله أن يتخلى له عن معاقل وحصون على الحدود كان عنده أولى من إعطائها وفي ذلك يذكر ابن بلقين:" وجدت بين المعتمد والفونش مخالفات كثيرة، وسأله ان يتخلى له معاقل كان الموت عنده أولى من اعطائها"[٩]، وإمعاناً في الاذلال والتجني طلب منه السماح بإدخال أمرائه القمطيجة (الملكة كونستانس) إلى جامع قرطبة لتلد فيه ابناءً على نصيحة الاساقفة، لأن الطرف الغربي منه كان موضع كنيسة قرطبة القديمة، وسأله أن تنزل بالزهراء مدينة الخليفة الناصر لتكون ولادتها بين طيب نسيم الزهراء وفضيلته موضع الكنيسة الموصوف[١٠].

وأرسل إليه في أوائل سنة٤٧٩هـ/١٠٨٦م من خمسمائة فارس برئاسة اليهودي ابن شاليب لأخذ الجزية، وتجرأ السفير وخرج على اللياقات الدبلوماسية واغاظ في القول للمعتمد بقوله:" لا تعتقدني بسيطاً لأقبل مثل هذه العملة المزيفة؟ لأخذ إلا الذهب الصافي والسنة القادمة ستكون مدناً فما كان من المعتمد إلاَّ أن أمر بحبس البعثة وصلب اليهودي"[١١]. ونتيجة لمقتل ابن شاليب وحبس بعثته اتجه الفونسو السادس لحصار قرطبة ثم عدل عن ذلك وقرر غزو اشبيلية واقسم بإلهته ليغرون المعتمد بأشبيليه[١٢].

وجهز جيشين جعل على أحدهما أحد قواده البرهانس وأمره بالمسير تجاه كوره باجة غرب الأندلس لتخريب تلك التخوم حتى اشبيلية، وزحف هو بالجيش الأخر وسلك طريقاً مغايراً فخرب

ودمر في طريقة حتى وصل إلى طريق اقصى جنوب الاندلس على المضيق والتي تنسب إلى طريق بن مالك فاتحها وأدخل قوائم فرسه في البحر قائلاً:" هذا أخر بلاد الأندلس قد وطأته"[١٣] ومن هناك أرسل إلى الأمير يوسف بن تاشفين، خطاباً في بداية عام ٤٧٩هـ/١٠٨٦م، وقد أشار مجهول بقوله: من الملتين اذفونش بن فردلند إلى يوسف بن تاشفين، أما بعد فإنك اليوم أمير المسلمين ببلاد المغرب وسلطانهم، وأهل الأندلس قد ضعفوا على مقاومتي ومقابلتي، وقد اذللتهم بأخذ الجزية منهم وبالقتل والأسر والذل والقهر، وأنا لا اقنع الاَّ بأخذ البلاد، وقد وجب نصرتهم لأنَّهم أهل ملتك، فإما أن تجوز إلي، وأما أن ترسل إلى المراكب أجوز اليك، فإن غلبتني كان ملك الاندلس والمغرب لك، وأن غلبتك انقطع طمع الأندلس من نصرك اياهم فأن نفوسهم متعلقة بنصرتك لهم"[١٤].

ان الفونسو السادس كان يرسل رسالته لأمراء الطوائف باللغة العربية لاعتماده على مستشارين يجيدون اللغة العربية ومنهم بدرو انسوريث[١٥]، وهم بالمثل يرسلون له رسائل بالقشتالية القديمة وفي حال تعذر ذلك كان يتم الاعتماد على التراجمة ذوي الثقة، وهذا الخطاب الذي أرسله الفونسو ليوسف بن تاشفين ربما كان باللغة العربية وهذا الاحتمال الذي ارجحه وأميل إليه.

أشار ابن بلقين أن الفونسو السادس قد أرسل رسالته إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين على يدي ابن الافطس جاء فيها: "ها أنا قد أقبلت أريد ملاقاتك، وأنت تتربص وتختبئ لأصل المدينة"[١٦]. لما بلغ الفونسو ما صنع ابن عباد، أنَّه أقسم بإلهته ليغزونه بإشبيلية ، ويحصره في قصره، فجرد جيشين جعل على أحدهما أحد قواده وأمره أن يسير على كورة باجة[١٧] من غرب الأندلس، ويغير على تلك التخوم والجهات، ثم يمر على ليلة إلى اشبيلية، وجعل موعده اياه طريانه للاجتماع معه، ثم زحف الفونسو في جيش أخر عرمرم، فسلك طريقاً غير طريق الجيش الأول، وكلاهما عاث في بلاد المسلمين وخرب ودمر، حتى اجتمعا لموعدها بضفة النهر الأعظم(الوادي الكبير) قبالة قصر ابن عباد، وفي أيام مقامه هناك كتب إلى ابن عباد زارياً عليه:" كثر بطول مقامي مجلس الذبان ، واشتد على الحر، فألقني في قصرك بمروحة أروح بها على نفسي، واطرد بها الذباب عني"، فوقع له ابن عباد بخط يده في ظهر الرقعة:" قرأت كتابك، وفهمت خيلاءك واعجابك، وسأنظر لك في مراوح من الجلود اللمطية، في ايدي الجيوش المرابطية، تروح منك، لا تروح عليك، أن شاء الله"[١٨]. ترك الفونسو السادس اشبيلية وسار نحو سرقسطة[١٩] وحاصرها ثم أخذ بلنسية واعطاها للقادر بن ذي النون حاكم طليطلة، وأتى على إمارة المرية، ثم وصل القشتاليون إلى مشارق إمارة غرناطة[٢٠] أصبح الخطر على الأندلس

شديداً وقلة الشجاعة وانهيار الروح المعنوية تثبط العزائم، إذ أن ثمانين قشتالين هزموا أربعمائة من المرية[٢١].

أمام هذه الحالة السيئة التي وصلت إليها الأندلس المسلمة اجتمع مشايخ قرطبة وزعماؤها للتشاور فيما يجب عمله لإنقاذ مدينتهم وكانت بلا حامية، وسائر بلاد الأندلس خاصة بعد غلبة النصارى(القشتالين)عليها، وعرضوا على قاضي المدينة عبد الله ابن أدهم (ت:٤٨٦هـ/ ١٠٩٣م) ما وصل إليه المسلمون من الذلة واقترحوا عليه لاستنجاد بعرب أفريقية الهلاليين، ولكن القاضي تخوف من وصولهم وتخريبهم للبلاد كما فعلوا بأفريقية، وأشار عليهم الاتصال بالمرابطين لأنهم اصلح منهم واقرب الى الاندلس فطلبوا منه استدعاء أمير المسلمين يوسف بن تاشفين وفوضوه بالأمر[٢٢].

كان اجتماع قرطبة أول اجتماع شعبي للخروج بالأندلس من محنتها بزعامة الفقهاء ملاذ الأمة في الظروف الصعبة ، وتجاوز المسلمون حكامهم السياسيين والتجأوا إلى قادتهم الروحيين من أجل الخلاص وللحفاظ على الدين ولصيانة الأندلس المسلمة من اطماع المسيحيين الإسبان، وحرك اجتماع قرطبة ما تبقى من استعداد للمقاومة في نفوس بعض الامراء الذين لم تطغ عليهم الخيانة ولم يصرفهم التهديد عن الاستعداد إلى التخاذل والاستسلام كالمتوكل بن الافطس والمعتمد بن عباد، فقد لاحت للمعتمد طوالع المصير الذي ينتظره وأدرك فداحة الأخطاء التي تردي فيها بمصانعة الفونسو، فجد في تقوية جيشه وترميم الحصون والقلاع وقرر أن يستصرخ إخوانه المسلمين في المغرب، وتشاور بالأمر مع أبنه الرشيد وزعماء اشبيلية الذين اشاروا عليه بمداراة الفونسو والرضوخ لشروطه التي يمليها فذلك أولى من الاستنجاد بالمرابطين[٢٣].

لكن هذا الرأي لم يقتنع به المعتمد فخلا بابنه الرشيد وكان ولي عهده الذي كان يرى رأي أهل اشبيلية وقال له :" أنا في هذا الاندلس غريب بين بحر مظلوم وعدو مجرم وليس لنا ولي ولا ناصر إلا الله، وإن إخواننا وجيراننا ملوك الاندلس ليس فيهم نفع ولا يرجى منهم نصرة ولا حيلة ان نزل بنا مصاب أو نالنا عدو ثقيل وهو اللعين اذفونش أخذ طليطلة ما يرفع عنا حتى يأخذ اشبيلية ونرى ومن الرأي ان نبعث إلى هذه الصحراء وملك العدوة نستدعيه للجواز إلينا ليدفع عنا الكلب اللعين إذ لا قدرة لنا على ذلك بأنفسنا، فقت تلف لجوؤنا وتدبرت بل بتردت اجنادنا وبغضنا العامة والخاصة"[٢٤]. فأجابه الرشيد:" يا أبت أتدخل علينا في أندلسنا من يسلبنا ملكنا ويبدد شملنا؟ فقال:" أي بني والله لا يسمع عني أبداً أني أعدت الأندلس دار كفر ولا تركتها للنصارى فتقوم على اللعنة من منابر الإسلام مثل ما قامت على غيري"[٢٥].

شاع في الأندلس رأي المعتمد بن عباد الاستنجاد بالمرابطين، ولما تحقق مستشارية من ذلك حذروه عاقبة ذلك وقالوا له:" الملك عقيم والسيفان لا يجتمعان في غمد واحد"[٢٦]، وقد عارض بشدة الاستنجاد بالمرابطين عبد الله بن سكوت والي مالقه الذي كان يرى أن المرابطين أشد خطراً من النصارى والإسبان ويجب الاعتماد على القوى الذاتية للأندلسيين فأجابهم المعتمد:" رعي الجمال خير من رعي الخنازير"[٢٧]، وقد أشار ابن خلكان قائلاً: أن المعتمد بن عباد قال لولده:" أن ذهبنا من مداخلة أو ضداد لنا فأهون الشرين أمر الملثمين"[٢٨] وقال: للذين لاموه على هذا الرأي:" يا قوم أني في أمري على حاليين: حالة شك ولابد لّي من أحدهما، أما حالة الشك فإني أن استندت إلى ابن تاشفين أو إلى الاذفونش ففي الممكن أن يفيا لّي يبقيا علي، يمكن الا يفعلا فهذه حالة شك وأما حالة اليقين فأني استندت إلى ابن تاشفين فإني أرضي الله وأن استندت إلى الاذفونش اسخطت الله تعالى، فإذا كانت حالة الشك فيها عارضة فلأي شيء ادع ما يرضى الله وأتى ما يسخطه؟ حينئذ قصر أصحابه عن لومه[٢٩].

ولما عزم المعتمد بن عباد على الاستنجاد بالمرابطين أرسل إلى المتوكل بن الافطس صاحب بطليوس وعبد الله بن بلقين الصنهاجي صاحب غرناطة، وطلب منهم ان يرسل قاضي حضرته لتشكيل بعثة تذهب إلى المغرب لمقابلة أمير المسلمين يوسف بن تاشفين واستحضر قاضي قرطبة عبيد الله بن أدهم وكان اعقل أهل زمانه وعلى هذا النحو تشكلت البعثة الرسمية من ابن أدهم قاضي قرطبة وابن مقاتا قاضي بطليوس وابن الفليعي قاضي غرناطة واصناف إليهم المعتمد وزيره أبا بكر زيدون إلى الامير يوسف[٣٠]، واطلعهم المعتمد انَّهم رسله إلى الأمير يوسف، واسند إلى القضاة وعظ الامير وترغيبه في الجهاد وإلى الوزير بن زيدون ابرام العقود، وحملت البعثة معها رسالة مكتوبة من المعتمد الى الأمير يوسف مؤرخه في يوم الثلاثاء الثالث عشر من جمادي الأولى عام ٤٧٩هـ/١٠٨٦م[٣١].

أطلع يوسف وحاشيته على المراسلات لاستشارتهم بالأمر وكان المرابطون متشوقين لدخول الأندلس والجهاد ضد النصارى (الإسبان) وكان رأيهم أما ما ذكرتم من استغاثة هذا الرجل المعتمد بكم فواجب على كل مسلم يؤمن بالله ورسوله إغاثة أخيه المسلم وأخرى فإنَّه لا يحل لنا إن يكون جارياً وبيننا وبينه ساقية ماء فسقوه طعمة للعدو وهذا ما ترونه والامر لله ولأمير المسلمين[٣٢].

وبعد ذلك استشار يوسف بن تاشفين كاتبه عبد الرحمن من اسباط الأندلسي الذي كان على خبرة بما يحدث في الأندلس، فنصحه الكاتب بأن يتسلم الجزيرة الخضراء لكي تكون أمينه لعبور الجيش ولحماية خطوط التموين[٣٣]. وقال له:" أن الأمر لله تعالى ولكم وواجب على كل مسلم

إغاثة أخيه المسلم والانتصار له، غير أن لّي كلاماً انهيه إليكم، أيد الله الأمير تعمدون الثمن وسبعة أثمان يعمرها النصارى هي ضيفة عرجه حريجة سجن نتيجة لتقلص حجم دويلات الطوائف واحاطة الممالك المسيحية بها لمن دخلها لا يخرج منها إلاَّ تحت حكم صاحبها، وإن أنت جزت إليها وحصلت فيها ما يكون لك في نفسك شيء وهذا الرجل الذي استدعاك ما بينك وبينه عتاب قديم ولا صداقة متصلة وتبقي، أذا قضى الله الغرض من العدو امسك بها والحال كما ترونه والنظر إليكم فأكتبوا إليه فإنه لا يمكنك الجواز الاَّ أن يعطيك الجزيرة الخضراء فتجعل فيها اثقالك واجنادك ويكون الجواز بيدك متى شئت فقال: له الأمير صدقت يا عبد الرحمن بن اسباط إلى المعتمد بن عباد الكتاب التالي نصه:" بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، من أمير المسلمين وناصر الدين معين دعوة أمير المؤمنين... وأنَّه لا يمكننا الجواز إلاَّ أن تسلم لنا الجزيرة الخضراء تكون لنا لكي يكون جوازنا إليك على أيدينا متى شئنا، فإذا رأيت فأشهد على نفسك بذلك وأبعث الينا بعقودها ، ونحن في أثر خطابك ان شاء الله تعالى"[٣٤].

على اية حال اطلع المعتمد بن عباد أبنه الرشيد على خطاب أمير المسلمين يوسف بن تاشفين فقال له:" يا أبت إلاَّ تنظر إلى ما طلب فقال له المعتمد : يا بني هذا قليل في حق نصرة المسلمين"، ثم جمع المعتمد القاضي والفقهاء ، وكتب عقد هبة الجزيرة الخضراء لأمير يوسف بن تاشفين وتسليمها له بحضورهم، وكان يحكمها يزيد الراضي بن المعتمد فبعث إليه يأمره بأخلائها وتسليمها للمرابطين لتكون رهن بتصرف الأمير يوسف[٣٥].

إن المعتمد تلكأ في تسليم الجزيرة، وطلب رسله منه التريث مدة ثلاثين يوماً لأخلائها ، فما كان من يوسف إلاَّ أن هاجم الجزيرة وأستولى عليها عنوة بقيادة داود بن عائشة[٣٦]. وبعد حصوله على الجزيرة حزم الأمير يوسف أمره وقرر تلبية نداء أهل الأندلس وكتب أماناً إلى أهلها، واستنفر سائر قواته للجهاد وبعث إلى مراكش في طلب الجنود فأقبلت إليه كذلك أقبلت جنود من الصحراء وبلاد الزاب ومختلف نواحي المغرب[٣٧]، وحشد السفن لعبور هذه القوات وأصدر أوامره بالعبور إلى بلاد الأندلس وكانت طليعة العابرين قوة من الفرسان بقيادة داود بن عائشة بلغت سبعة الأف[٣٨]، إلى الجزيرة الخضراء وتوالى عبور بقية الجيش تباعاً، وقد أمر يوسف بعبور الجمال بأعداد كثيرة، وقد آثار ظهورها دهشة الأندلسيين لأنهم لم يكونوا قد رأوها من قبل، وقد أثر وجودها على الخيل فأخذت تجمع لدى رؤيتها[٣٩].

وعند اكتمال الجيش المرابطي بساحل الجزيرة الخضراء عبر يوسف بن تاشفين في أثره بموكب من قادة المرابطين وانجادهم وصلحائهم ولما استولّى على ظهر السفينة رفع يديه نحو

السماء مناجياً:" اللهم إن كنت تعلم إن في جوازي هذا خيراً وصلاحاً للمسلمين فسهل على جواز هذا البحر حتى نعبره، وأن كان غير ذلك فصعبه على حتى لا اجوزه"[٤٠]. وسهل عليه العبور في أسرع وقت وكان ذلك في يوم الخميس ٢٩ ربيع الأول عام ٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م ونزل بالجزيرة واستقبله سكانها بالترحاب وشرع يوسف في تحصين الجزيرة وترميم أسوارها وابراجها وشحنها بالأسلحة والأطعمة وأوكل إلى حراستها نخبة من رجاله ثم سار إلى اشبيلية[٤١].

المبحث الثاني

علاقة مملكة قشتالة وليون في عهد الفونسو السادس مع المرابطين

أن علاقة مملكة قشتالة وليون في عهد الفونسو مع المرابطين (٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م) بدأت منذ عهد يوسف بن تاشفين حيث كان عبورهم الأول (٤٧٩هـ-٤٨٠/ ١٠٨٦-١٠٨٧م) بعد وصول يوسف بن تاشفين إلى الأندلس سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٦م سارع المعتمد بن عباد لملاقاته في مئة فرسانه ووجوه اصحابه بالقرب من الجزيرة الخضراء وتعانقاً واستعرض المعتمد الجيش المرابطي فرأى عسكراً نقياً ومظهراً بهياً[٤٢]. تابع يوسف سيره نحو اشبيلية حتى وصلها وأقام فيها ثلاثة أيام للاستراحة ثم قال للمعتمد:" الما جئت ناوياً جهاد العدو فحيثما كان توجهت"[٤٣]، وخلال أقامته القصيرة في اشبيلية بعث الأمير يوسف إلى أمراء الطوائف في الأندلس يستنفرهم للجهاد، فكان أول من لبى الدعوة عبد الله بن بلقين صاحب غرناطة الذي خرج إليه بأمواله ورحاله والتقى الأمير يوسف بجيشه على طريق بطلبوس، وأخوه تميم صاحب مالقة، وأعتبر المعتصم ابن صمادح صاحب المرية، لكبر سنة ولمجاورة العدو له في حصن البيط وأرسل ابنه معز الدولة في فرقة من جيشه[٤٤]. سار الجيش المرابطي بقيادة يوسف مع الجيش الاندلسي نحو بطليوس فاستقبلهم صاحبها المتوكل بن الافطس فتابع سيره حتى وصل الى سهل الزلاقة[٤٥].

وفي بطليوس نظم يوسف جيشه ، فجعل الأندلسيين جيشاً قائماً بذاته وأسند قيادته إلى المعتمد بن عباد الذي تولّى في الوقت ذاته المقدمة، وعين المتوكل بن الأفطس على الميمنة وأهل الشرق كانوا على الميسرة، وحشد سائر أهل الأندلس في الساقة وخيم هذا الجيش أمام المرابطين، أما الجيش المرابطي، فقد تولّى قيادة فرسانه داود بن عائشة بقيادة الحشم سير بن أبي بكر وبقية المرابطين مع الحرس ويوسف بن تاشفين على قيادة الجيش الإسلامي، وعسكر المرابطون خلف الأندلسيين تفصل بينهما ربوة بغرض التمويه[٤٦].

نتيجة لهذه التحركات المرابطية الأندلسية وصل إلى الفونسو السادس خبر جواز يوسف إليه من خلال جواسيسه[٤٧]، وكان محاصراً لسرقسطة[٤٨]، ولكنه حاول أن ينتهز الفرصة وطلب من صاحبها المستعين بن هود مبلغاً من المال لرفع الحصار عن المدينة معتقداً أن المستعين لا علم

له بالعبور المرابطي ولكن النبأ السعيد كان قد عم كل أنحاء الأندلس ولذا رفضت المستعين اعطاءه ولو درهماً واحداً[٤٩]، خشية أن يتقوى به، واتفق المؤرخون أن الفونسو رحل عن سرقسطة مسرعاً إلى طليطلة لدفع الخطر الذي دهمه على غفلة، هذا الخطر الذي أملى على الفونسو السادس التحالف مع ملوك وامراء اسبانيا المسيحية، فبعث إلى سانشو راميرو ٤٥٥-٤٨٧هـ/ ١٠٦٣-١٠٩٤م ملك أراجون الذي كان آنذاك يحاصر مدينة طرطوشة، وإلى الكونت برنجير راموان الثاني ٤٧٥-٤٩٠هـ/ ١٠٨٢-١٠٩٧م كونت برشلونة كما أرسل إلى قائده البرهانس يستدعيه من بلنسية[٥٠].

أن الفونسو استنفر الكبير والصغير، ولم يدع في اقاصي مملكته من يقدر على حمل السلاح الاَّ استنهضه، جاء يجر الشوك والحجر وطلب النجدة أيضاً من وراء البرتات ومن أوربا، ولابد إن الكنيسة الرومانية التي كانت قد تمت سيطرتها على كنيسة إسبانيا قد عملت على أذكاء الحماس في نفوس المتطوعين، ورفع القسيسون والرهبان والاساقفة صلبانهم ونشروا اناجيلهم، وأتاه فرسان من ايطاليا من وراء جبال البرتات ومن أراجون وجليقية متطوعين للقتال[٥١].

قسم الفونسو السادس جيشه الى قسمين كبيرين، أسند قيادة الجيش الأول إلى ابن عمه الكونت غرسية والسيد القمبيطور[٥٢]، وما لبث غرسية أن أنسحب قبل بدء المعركة أثر خلاف مع الفونسو الذي ابقى القمبيطور في القيادة، واحتفظ بقيادة الجيش لثاني وعين على جناحيه سانشو راميرو والكونت برنجير راسون الثاني وتولى قيادة القلب[٥٣]، ثم استعرض الفونسو جيشه فأعجبته كثرته وأخذ الغرور فقال:" بهذا الجيش القى محمد وآله والانس والجن والملائكة[٥٤]، في المعركة تقدم الرهبان والقسيون أمام القوات المسيحية وهم يحملون الاناجيل والصلبان[٥٥]، وذلك من أجل أذكاء الحماس الديني في نفوس الجنود الذين يرجح اويثى ميراند أنّه قد بلغ عددهم أكثر من ستين الفاً، وإعداد القوات المرابطين قد بلغت نحو نصف هذا العدد[٥٦].

أن الفونسو تلقى كتاباً بمقتضى الشريعة الإسلامية من يوسف بن تاشفين يدعوه إلى الإسلام، أو ضرب الجزية عليه أو الحرب، فلما قرأ الفونسو الكتاب امتلأ غيظاً وداخله الكبر، وأرسل إلى يوسف رداً يعلمه فيه أنَّه اختار القتال[٥٧]، ومن جملة ما قاله الفونسو في كتابه تمثل هذه المخاطبة يخاطبني وأنا وأبي تغرم الجزية لأهل ملته من ثمانين سنة[٥٨]، أن الفونسو قال حينئذ للرسول قل للأمير:" لا تتعب نفسك، أنا أصل إليك"[٥٩].

وقد أقام الفريقان بموقع الزلاقة ثلاثة أيام، تفاوضا على تحديد يوم اللقاء، حيث أن الفريقان قد تراءيا يوم الخميس[٦٠]،وقد اتفقت المصادر التاريخية على أن المعركة كانت يوم الجمعة الثالث والعشرين من اكتوبر عام ٤٧٩هـ / ١٠٨٦م، وتمكن الفونسو بمكره الشديد أن يخدع يوسف بن

تاشفين في تحديد يوم اللقاء فكتب إليه:" أن غداً يوم الجمعة لا نحب مقابلتكم فيه لأنه عيدكم، وبعده السبت يوم عيد اليهود وهم كثير في محلتنا وبعده الأحد عيدنا، فنحترم هذه الاعياد ويكون اللقاء يوم الاثنين" فكان جواب الأمير يوسف" اتركوا اللعين وما أحب"[٦١]. لكن حيلة الفونسو لم تفلح إذ تنبه المعتمد وقال ليوسف بن تاشفين:" أنها حيلة منه وخديعة انَّما يريد غدرنا فلا تطمئن إليه، وقصده الفتك بنا يوم الجمعة فليكن الناس على استعداد له يوم الجمعة كل النهار"[٦٢].

حرص المعتمد على سلامة المرابطين فبث عيونه حول معسكر الفونسو خوفاً من تسلله اليهم وعند السحر من يوم الجمعة اقبل فارسان من فرقة الاستطلاع يخبر ان المعتمد ببدء تحرك الفونسو وقواته نحوهم اذ ان الضوضاء وقعقعة السلاح تملأن ارجاء المعسكر، وكان هجوم قوات الفونسو السادس بقيادة روديجو دياث الملقب بالقمبيطور على معسكر الاندلسيين بقيادة المعتمد، غدراً وظناً منه ان ذلك المعسكر هو جميع عسكر المسلمين، فوقع القتال بين الطرفين، ودارت الدائرة على الاندلسيين واشرفوا على الهزيمة، ولم يثبت منهم غير المعتمد بن عباد لذلك أرسل إليهم يوسف بن تاشفين قائده داود بن عائشة بقواته من الفرسان وراكبي الجمال لنجدتهم[٦٣]. وثبت المعتمد بن عباد وقاتل بجيشه قتالاً شديداً وصبر صبراً جميلاً. ولكنه اصيب عدة جراحات في وجهه وبدنه وضرب على رأسه ضربة فلقت هامته حتى وصلت الى صدغه، وجرجت يمنى يديه، وطعن في احد جانبيه، وعقد له ثلاثة افراس[٦٤]، وبعد اصابة المعتمد فر رؤساء الاندلس، بمن فيهم عبدالله بن بلقين، الى بطليوس وتبعهم جيش النصارى في تلك البقاع يقتلون منهم ويأسرون وينتهبون ما عندهم من مال وسلاح[٦٥].

بقي الفونسو السادس في مكانه ولم يستثمر الانتصار على القوات الاندلسية، في الوقت الذي تحرك فيه أمير المسلمين يوسف بن تاشفين الى محلة الفونسو واقتحمها من الخلف واضرمها ناراً وضرب طبوله فاهتزت الأرض، وكان رغاء الجمال يتصاعد إلى السماء فبث الذكر في القوات النصرانية وهلعت قلوبهم[٦٦] في هذه الأثناء كان الفونسو يدفع بجيشه إلى الإمام لانتزاع النصر، فذهل عندما رأى بعض حرس معسكره فارين، واتته، الأخبار من داخل المعسكر باستيلاء المرابطين عليه وأنَّه خسر حوالي عشرة الأف قتيل[٦٧]، لذلك وجد الفونسو نفسه محاصراً من المسلمين فأضطر للقتال متقهقراً نحو معسكره المخترق، ولكن يوسف بن تاشفين لم يترك له فرصة لالتقاط الانفاس، فأنقض عليه كالسيل، وقاتل الفونسو عند ذلك قتال المستميت وبلغ قلب الجيش المرابطي، حتى أن الأمير يوسف أرتاب نتيجة المعركة وبث الحماس في نفوس جنده وانتدب الفقهاء لوعظ الجنود[٦٨].

ووسط هذا القتال المشتعل الذي دام بضع ساعات منذ فجر يوم الجمعة إلى أن غربت الشمس، سقط خلاله الألف القتلى وغمر الدم ساحة المعركة، عندها دفع الأمير يوسف حرسه الخاص من الجند السودان إلى القتال[٦٩]، فترحل منهم قرابة أربعة الأف اندفعوا لمقاومة قوات الفونسو وانقض أحدهم على الفونسو فطعنه في أحدى ركبتيه طعنه ظل يخمع منها طوال حياته[٧٠]. وعند غروب الشمس ايقن الفونسو بالفناء، ولما رأى إن الليل قد اقبل وأن معظم جنده قد قتل لجأ إلى تل قريب ومعه خمسمائة فارس من فرسانه الذين افلتوا من أظفار المنية بانتظار الظلام للنجاة من سيوف المرابطين الذين لم يلاحقوهم بأمر من يوسف بن تاشفين حيث قال يوسف:" الكلب أذا وهم لا يعض، وقد سلم الله المسلمين من معركة ولم يقتل منهم إلاَّ قليل، فإن هجمتهم على هؤلاء أبلوا بلاءً عظيماً، ولكن اتركوهم ولا حظوا حالهم"[٧١].

وبعد المعركة قامت القوات المرابطية بقطع رؤوس قتلى القوات المسيحية، وبنوها كالصوامع، في حصون الجوامع، وقام المؤذنون في اعلاها بالأذان ثلاثة أيام، وتراجع إلى المحلة (المعسكر) كل من سلم من المسلمين[٧٢].

أرسل يوسف بن تاشفين إلى المعز بن باديس صاحب أفريقية كتاباً يزف له البشرى السعيدة بالنصر المبين، كما بعث المعتمد بن عباد إلى أبنه الرشيد في اشبيلية يزف إليه النصر برسالة تنص:" أعلم انَّه التقت جموع المسلمين بالطاغية اذفنش اللعين، ففتح الله للمسلمين وهزم على ايديهم المشركين والحمد لله رب العالمين، فاعلم بذلك من قبلك اخواننا المسلمين والسلام"[٧٣] قرأت هذه الرسالة في مسجد اشبيلية الجامع فعمها السرور.

ان علاقة ليون مع المرابطين بعد عبورهم للمرة الثانية عام ٤٨١هـ/ ١٠٨٨م فتبدأ بعد انتصار القوات الإسلامية في الزلاقة، حيث يأس الفونسو ورأى له من الأخرى أن يحول هجماته المتركزة تجاه بطليوس واشبيلية إلى شرق الأندلس خاصة أن ولايات الشرق الصغيرة مثل بلنسية ومرسية ولورقة كانت في الواقع اضعف ولايات شبه الجزيرة، وكان للقشتاليين في وسطها حصن البيط الذي شحنه الفونسو بحامية تضم ثلاثة عشر الفاً كانوا يعبرون منه على الاقاليم المحيطة بهم، بالإضافة إلى هجمات السيد القمبيطور في منطقة شرق الأندلس[٧٤]. وهنا أرسل الفونسو السادس بطلب الاستغاثة من أوربا واتته القوات من فرنسا وبعض الفرسان من الايطاليين وذلك سنة ٤٨١-٤٩٢هـ/ ١٠٨٨-١٠٩٩م وقد عمل على شد ازر هذه الجهود ويباركها ويعلق عليها الآمال الكبار[٧٥].

بدأ الفونسو يستعد لمواجهة جديدة مع المسلمين في الأندلس وخاصة مع المعتمد بن عباد الذي اضطر أن يضطلع بالعبء كله في الشرق، وكان الجيش الذي تركه يوسف بن تاشفين

بقيادة سير بن أبي بكر مشغولاً في الجهاد في الغرب، والعبء الذي يضطلع به أكثر من أن يحتمله وحده، ما دام أمراء الأندلس قد انصرفوا عن الجهاد الى منازعتهم الخاصة، فأضطر سير أن يكتب الى يوسف يخبره أن" الجيوش بالثغور مقيمة على مكايدة العدو، وملازمة الحرب والقتال في اضيق عيش وأنكده وملوك الأندلس في بلادهم وأهليهم في أرغد عيش وأطيبه"[٧٦].

رد يوسف بن تاشفين في رسالة نصها:" أن يأمرهم بالنقلة والرحيل الى العدوة، فمن فعل فذلك ، ومن أبي محاصره وقاتله ولا تنفس عليه، ولتبدأ من والي الثغور، ولا تنعرض المعتمد بن عباد إلاَّ بعد استيلائك على البلاد، وكل بلد أخذته فول عليه أميراً من عسكرك"[٧٧].

في عام ٤٨١هـ/ ١٠٨٨م أرسل الفونسو قائد الحصن غرسية خيمنيس لتضييف الحصار على المرية والبونت ولورقة وبسطة وحاصر البرهانس مرسية والقمبيطور شاطبة، لذلك وفد على يوسف بن تاشفين بالمغرب جملة من اعيان مرسية ولورقة وبسطة وشكو إليه ما حل بهم من غارات الحصن، وظلوا يترددون إليه بالشكوى حتى وعدهم بالجواز إليهم[٧٨].

مضى المعتمد بن عباد إلى يوسف واستنجده، فأكرمه وعده خيراً وعاد المعتمد إلى اشبيلية واستعد لألفونسو السادس[٧٩]. ونفذ يوسف بن تاشفين ما وعد به فعبر إلى الجزيرة لخضراء في عام ٤٨١هـ/ ١٠٨٨م وهو جواز الثاني للأندلس برسم الجهاد، وتلقاه المعتمد بن عباد وكتب يوسف لأمراء الطوائف يستدعيهم للجهاد معه وحدد لهم اللقاء عند الحصن البيط فتوافد عليه ممثلي دويلات الطوائف ونتيجة لهذا التحرك الإسلامي أمر الفونسو قواده بشن الغارات وتركيزها على شرق الأندلس وعلى سرقسطة، وضرب المسلمون الحصار حول الحصن، واتصلت الحروب عليه ليلاً ونهاراً، ولم يهاجم أمراء الطوائف الحصن مجتمعين، بل كان أمير يقاتل في يومه بخيله ورجله مداولة بينهم، فيهاجم ثم يحل مكانه أميراً أخر[٨٠].

استعمل المسلمون في حصار حصن البيط مختلف الات الحرب، كالمجانيق، والعرادات حتى أن المعتصم بن صمادح استخدم فيلاً من الخشب فأصابته نار العدو واحرقته ونصب المجانيق والعرادات حتى لم يبق عمل يرام به افتراض المعاقل إلاَّ وضيع واتى ابن صمادح بفيل أقامه، وخرق به العادة أصابه من الحصن قبس نار فأحرقه[٨١].

أن حامية الحصن بقيادة غرسية خيمينس فقد لجأت إلى الحيلة للتصدي للقوات الإسلامية المخالفة حيث كانت تنير الحصن ليلاً، لتهديد المسلمين بمجيء الفونسو السادس، كما يشير ابن بلقين بقوله:" وهم في ذلك يهددون بمجيء الفونش، ويريعون الحيلة بالتنير كل ليلة، والقتال عليهم كل يوم لا يفتر" كما استصرخ أهل الحصن ملكهم الفونسو فأخذ في الحشد، ويمم الحصن

في أمم لا تحصى، فلما قرب منه رأى يوسف الإقلاع عنه بعد أن حاصره أربعة شهور، فرفع الحصار عنه، وانصرف إلى ناحية لورقة[٨٢].

عاد يوسف بن تاشفين إلى المغرب سنة ٤٨١هـ/ ١٠٨٨م بعد فشل الحصار واعتقاده بأخفاف سياسة توحيد القوى في الأندلس والمغرب لمواجهة الفونسو ملك قشتالة بسبب الفرقة التي عصفت بجهوده وهذه الاطماع التي فرقت هؤلاء الأمراء شيعاً.

وفي سنة ٤٩٤هـ/ ١١٠١م فقد كان لكل من الفونسو السادس ويوسف بن تاشفين في تلك المرحلة هدفه الخاص فقد كان الفونسو يريد استرداد المدن التي يسيطر عليها أمراء الطوائف، أما يوسف فكان يرغب في السيطرة على دويلات الطوائف، في الوقت نفسه جاز يوسف إلى الاندلس للمرة الثالثة في عام ٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م ونجح قادة يوسف وجيوشه في السيطرة على دويلات الطوائف واسقاطها جميعاً وآخرها في عام ٥٠٣هـ/ ١١١٠م[٨٣].

لجأ المعتمد بن عباد إلى طلب مساعدة الفونسو بعد حصاد الأمير سير أبي بكر عام ٤٨٣هـ/١٠٩٠م فأرسل الفونسو قائده البرهانس في جيش متكون من عشرين الف فارس، وأربعين ألف راجل، فلما علم سير بقدوم الجيش القشتالي، اختار عشرة الأف رجل من فرسانه وقدم عليهم القائد إبراهيم بن اسحاق اللمتوني، الذي التقى بجيش الفونسو بالقرب من اشبيلية حيث دارت معركة عنيفة انتهت بهزيمة القشتالين[٨٤]. وأن الفونسو نجح في تلك المرحلة في السيطرة على مدينة شنترين وذلك في عام ٤٨٦هـ / ١٠٩٣م[٨٥].

وتذكر المصادر التاريخية أن الفونسو السادس قد ساعد القمبيطور في السيطرة على بلنسية في عام ٤٨٧هـ/١٠٩٤م وأيضاً مربيطر في نفس العام، وأن الأمير سير بن أبي بكر قد تابع سيره بعد فتحه بطليوس حتى وصل إلى منتصف البرتغال رغبة منه في السيطرة على لشبونة نفسها وقام بمحاصرتها ، وكان معسكر قوات جليقية بقيادة الكونت رايموند بطلب الاستغاثة من الفونسو ورحل الاسقف ديجو جلمريث مع بعض رجاله لإخبار الفونسو بهذا الأمر مما أضطر الأمير سير لفك الحصار[٨٦].

وفي عام ٤٨٩هـ/ ١٠٩٦م أرسل يوسف قائده محمد ابن الحاج على رأس جيش كثيف التقى مع قوات الفونسو عند قنشرة وقد انتصرت القوات المرابطية على القوات الإسبانية وقتلوا الابن الوحيد للسيد القمبيطور واسمه ديجو فمات القمبيطور حزناً على ولده وذلك في عام ٤٩١هـ/ ١٠٩٨م وتولت زوجته دونيا خمينا أمر بلنسية بعد وفاته، وفشلت في الدفاع عن حصار المدينة من المرابطين فبعثت تستنجد بالفونسو الذي سارع إلى نجدتها فانسحب القائد المرابطي محمد بن مزدلي إلى طلبيرة فتبعه الفونسو إلى هناك فدارت معركة عنيفة انسحب

بعدها الفونسو إلى بلنسية ثم ترك المدينة بعد أن اخلاها من المسيحيين، واشعل النيران في المسجد الجامع والقصر والدور، فدخل محمد بن مزدلي المدينة عام ٤٩٥هـ/١١٠١م[٨٧].

وفي سنة ٤٩٦هـ/١١٠٢م أراد الفونسو الاَّ يدخل في معركة حاسمة مع المرابطين الذين ازدادوا قوة وسيطرة وذلك بعد قضاؤهم على دويلات الطوائف، لذلك عبر يوسف إلى الأندلس للمرة الرابعة لتنظيم أسس الدولة الجديدة، وأخذ البيعة لولده علي بن يوسف من بعده وتمت البيعة له في قرطبة في العام نفسه، ثم عاد يوسف إلى المغرب، حيث اعتلى في أواخر عام ٤٩٨هـ/ ١١٠٤م إلى أن توفى في محرم عام ٥٠٠هـ/١١٠٦م[٨٨].

وفي عام ٥٠١هـ/١١٠٧م وعلى الرغم من طول العلاقات بين مملكة قشتالة وليون في عهد الفونسو السادس وبين المرابطين إلاَّ انَّه لم يكن هناك مجالاً لتبادل الاسرى بين الفريقين المتصارعين، فقد كان يباع الاسرى كرقيق وأيضاً أسرى المسيحيين الإسبان كانوا يباعون كرقيق أو يعتقوا في حال اعتناقهم الإسلام [٨٩].

الخاتمة

من خلال ما تقدم يتبين لنا مجموعة من النتائج وهي :-

١- من العوامل التي ساعدت الإسبان على تحقيق أهدافهم التوسعية الحالة المتدهورة للإمارات والفوضى السياسية وعدم وجود كيانات سياسية منظمة وكثرة النزاعات التي عاشتها الممالك الإسلامية في ذلك الوقت.

٢-ظهور بعض الإمارات القوية التي استطاعت أن تبسط سيطرتها على مدن أخرى وتتوحد ضد الإعداء مثل إمارة المعتمد بن عباد حاكم إشبيلية وإمارة الأمير عمر ابن الافطس أمير بطليوس، إذ استطاعوا توحيد كلمتهم إلى جانب دويلات الطوائف، وأن يشكلوا تحالفاً ضد النصارى الإسبان بقيادة الفونسو السادس، عندما أخذ الأخير يهددهم ورفضوا الانصياع إلى تهديداته ولم يدفعوا الجزية والإتاوات له، واخيراً استنجادهم بأمير المرابطين يوسف بن تاشفين لمساعدتهم بالحرب معهم ضد الإسبان وتمكنوا في النهاية من الانتصار على الفونسو السادس وعلى تحالفه من الممالك الإسبانية الأخرى في معركة الزلاقة عام ٤٧٩هـ/١٠٨٦م .

٣-كانت النزاعات بين الممالك سبباً في اضعاف نفوذ العرب المسلمين في الأندلس وتقوية نفوذ الإسبان وهذا ما ساعد الإسبان على الاستيلاء على العديد من مدن العرب المسلمين في الأندلس مثل طليطلة وغيرها من المدن.

٤-كان الفونسو السادس يتحرك في إطار ايدلوجية تؤمن بأن المسلمين لم يكونوا إلاَّ غزاة لإسبانيا وإنَّهم عنصر ظل دخيلاً على البلاد على الرغم من مرور قرون طويلة على وجودهم

واندماجهم مع السكان المحليين، واستعراب البلاد بتأثيرهم، وقد أكد الفونسو السادس على ذلك التوجه الايدلوجي من خلال الخطاب السياسي الذي تبناه وروج له أبان الحروب ضد دويلات الطوائف .

٥-كان حكام هذه الإمارات متفرقين وكل منهم كان يعمل للسيطرة على الأراضي على حساب الإمارات الأخرى وكان البعض منهم يتحالف مع إعدائهم الإسبان ضد أبناء جلدتهم والبعض الأخر يتخوف من الاستنجاد بالمرابطين وبقائدهم يوسف بن تاشفين خوفاً من ذهاب إمارتهم.

الهوامش

(١) طليطلة : مدينة كبيرة منيعة قديمة وهي على ضفاف نهر تاجة ليس في الأندلس امنع منها يتصل عملها بعمل وادي الحجارة وكانت قاعدة ملوك الفوطيين وموضع قرارهم ولها قنطرة من عجيب البنيان وقد ذكر قوم أنَّها مدينة دقيانوس صاحب أهل الكهف بينها وبين قرطبة سبعة أيام للفارس وكانت بيد المسلمين منذ الفتح إلى أن سقطت سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م . ينظر: اليعقوبي، البلدان، ص١٩٤.

(٢) بطليوس: مدينة كبيرة قديمة من قواعد الأندلس من أعمال ماردة على نهر آنه، غربي قرطبة تبعد عن قرطبة ستة مراحل . ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٤٥/٢؛ ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، ٣٦٣/١٠.

(٣) أشبيلية: مدينة بالأندلس جليلة بينها وبين قرطبة مسيرة ثمانية أيام من الأميال ثمانون وهي مدينة قديمة أزلية يذكر أهل العلم باللسان اللطيني أن أصل تسميتها اشيالي معناه المدينة المنبسطة ، ويقال أن الذي بناها يوليوس القيصر وأنَّه من تسمى قيصر. ينظر: الحميري، الروض المعطار،ص٥٨.

(٤) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٨٧.

(5) CC:B. Iv-v, p43-44.

(٦) مجهول، الحلل الموشية، ص٢٠.

(7) CC:B. Iv-v, p43-44.

(٨) ابن بلقين، التبيان عن الحادثة، ص١٢٣-١٢٤.

(٩) ابن بلقين، التبيان عن الحادثة، ص١٠٢.

(١٠) الحميري، صفة جزيرة، ص٨٤.

(١١) ابن بلقين، التبيان عن الحادثة، ص١٠١-١٠٢.

(١٢) ابن الآبار، الحلة السراء، ٣٥١/٢.

(١٣) الحميري، صفة جزيرة، ص٨٥.

(١٤) مجهول، الحلل الموشية، ص٢٦-٢٧.

(15) C.C,B, III, p-35.

(١٦) ابن يلقين، التبيان، ص١٠٥.

(١٧) باجة: من أقدم مدن الأندلس بنيت أيام الأقاصرة بينها وبين قرطبة مائة فرسخ من الكور المجندة نزلها جند مصر، ولها معاقل موصوفة بالمنعة والحصانة . ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص٧٥. .

(١٨) الحميري، صفة جزيرة، ص٨٥.

(19) C,C, B. IV, p, 49-50.

(٢٠) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٨٩.

(٢١) ابن بلقين، التبيان، ص١٠٢.

(٢٢) مجهول، الحلل الموشية، ص٢٧-٢٨.

(٢٣) مجهول، الحلل الموشية، ص٢٧-٢٨.

(٢٤) مجهول، الحلل الموشية، ص٢٨.

(٢٥) الحميري، صفة جزيرة، ص٨٥.

(٢٦) ابن الآبار، الحلة السراء، ٣٥١/٢.

(٢٧) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ١١٥/٧.

(٢٨) الحميري، صفة جزيرة، ص٨٦.

(٢٩) ابن الآبار، الحلة السراء، ٣٥٢/٢-٣٥٣؛ الحميري، صفة الجزيرة، ص٨٦.

(٣٠) مجهول، الحلة الموشية، ص٢٨-٢٩.

(٣١) مجهول، الحلل الموشية، ص٣١.

(٣٢) لسان الدين ابن الخطيب، تاريخ إسبانيا، ص٢٤٦.

(٣٣) مجهول، الحلل الموشية، ص٣٢-٣٣.

(٣٤) مجهول، الحلل الموشية، ص٣٣.

(٣٥) ابن بلقين ، التبيان، ص١٠٢-١٠٣.

(٣٦) المراكشي، المعجب، ص١٩١.

(٣٧) المراكشي، المعجب، ص١٩١.

(٣٨) الحميري، صفة جزيرة، ص٨٧.

(٣٩) ابن أبي زرع، الأنيس، ص٩٣.

(٤٠) مجهول، الحلل الموشية، ص٣٤.

(٤١) ابن الآبار، الحلة السراء، ٣٥٢/٢.

(٤٢) المراكشي، المعجب، ص١٩١-١٩٢.

(٤٣) ابن بلقين، التبيان، ص١٠٤.

(٤٤) مجهول، الحلل الموشية، ص٣٤.

(٤٥) مجهول، الحلل والموشية، ص٣٥.

(٤٦) ابن أبي زرع، الأنيس، ص٩٤؛ مجهول، الحلل الموشية، ص٤١.

(٤٧) الحميري، صفة جزيرة، ص٨٨.

(٤٨) سرقسطة: بلدة مشهورة من شرق الأندلس سميت بالمدينة البيضاء لكثرة جصها وجيارها تتصل اعمالها بأعمال لها تطيله وهي قاعدة من قواعد الأندلس وهي على ضفة نهر كبير ينبع من جبال القلاع ولها مدن ومعاقل . ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ٥٥٤/٢؛ الحميري، الروض المعطار، ص٣١٧.

(٤٩) الحميري، صفة جزيرة، ص٨٨.

(٥٠) ابن أبي زرع، الانيس، ص٩٤.

(٥١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١٥٣/١٠.

(٥٢) السيد القبيطور: قائد وفارس ومغامر قشتالي هو رود يغوديازبيار، تسميه الروايات التاريخية العربية السيد القمبيطور أو الكمبيطور، كان له جيش من المرتزقة الإسبان، وقد دخل في خدمة الملك الفونسو السادس، وقاتل إلى جانب عدد من ملوك الطوائف كسليمان المستعين صاحب سرقسطة وابن عباد صاحب اشبيلية واستطاع ان يستولي على بلنسية التي كانت تحت حكم القاضي ابن جحاف . ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ٢٠٣/٣-٢٠٥؛ مؤنس، السيد القمبيطور ،ص٣٧-٣٨.

(٥٣) الحميري، صفة جزيرة، ص٨٩.

(٥٤) مجهول، الحلل الموشية، ص٣٨.

(٥٥) الحميري، صفة جزرة الأندلس، ص٩٠.

(٥٦) مجهول، الحلل والموشية، ص٣٥.

(٥٧) ابن أبي زرع، الأنيس، ص٩٤.

(٥٨) ابن ابي زرع، الانيس، ص ٩٧.

(٥٩) مجهول، الحلل الموشية، ص٣٥-٣٦.

(٦٠) الحميري، صفة جزرة الأندلس، ص٩٠.

(٦١) ابن الآبار، الحلة السراء، ٣٥٥/٢.

(٦٢) الحميري، صفة جزيرة، ص٩١-٩٢.

(٦٣) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٩٤.

(٦٤) مجهول، الحلل الموشية، ص٤٢.

(٦٥) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٩٤.

(٦٦) ابن أبي زرع، الأنيس، ص٩٥.

(٦٧) ابن أبي زرع، الأنيس، ص٩٥.

(٦٨) ابن أبي زرع، الأنيس، ص٩٧.

(٦٩) مجهول، الحلل الموشية، ص٤٣.

(٧٠) ابن لكردبوس، تاريخ الأندلس، ص٩٥.

(٧١) مجهول، الحلل الموشية، ص٤٤.

(٧٢) ابن أبي زرع، الأنيس، ص٩٩.

(73) C.C. B.V, p 53.

(٧٤) المقري، نفخ الطيب، ١٠٤/٦.

(٧٥) المقري، نفخ الطيب، ١٠٤/٦.

(٧٦) مجهول، الحلل الموشية، ص٤٧-٤٨.

(٧٧) ابن بلقين، التبيان عن الحادثة، ص١٠٨.

(٧٨) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص١٠٤.

(٧٩) ابن بلقين، التبيان عن الحادثة، ص١٠٨.

(٨٠) ابن بلقين، التبيان عن الحادثة، ص١٠٩.

(٨١) ابن بلقين، التبيان عن الحادثة، ص١٠٨.

(٨٢) لسان الدين ابن الخطيب، تاريخ إسبانيا، ص١٩٣.

(٨٣) ابن أبي زرع، الأنيس، ص٠٧-١٠٨.

(٨٤) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص١٠٣.

(85) C.C. B,VI, p , 65.

(٨٦) ابن أبي زرع، الأنيس، ص١٠٩.

(٨٧) مجهول، الحلل الموشية، ص٥٦.

(٨٨) مجهول، الحلل الموشية، ص٥٧.

(٨٩) ابن الكردبوس، تاريخ الأندلس، ص١٠٣-١٠٤.

المصادر والمراجع

•ابن الآبار ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت: ٦٥٨ هـ / ١٢٥٩م)

١-الحلة السيراء، ط٢، تح ، د. حسين مؤنس ، دار المعارف، القاهرة ، ١٩٨٥م.

•ابن الأثير ، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني (ت: ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢م)

٢-الكامل في التاريخ ، دار صادر، بيروت ، ١٩٧٩م .

•الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم(ت:٩٠٠هـ/١٤٣٤م)

٣-صفة جزيرة الأندلس، منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الاقطار، نشر: ليفي بروفنسال، القاهرة، ١٩٣٧م.

٤-الروض المعطار في خبر الاقطار، ط٢،تح: إحسان عباس، بيروت، ١٩٨٤م.

•ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت: ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م)

٥-وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تح : الدكتور إحسان عباس ، دار الثقافة، بيروت ، ١٩٦٨م.

•ابن أبي زرع ، أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي (ت: ٧٤١ هـ / ١٣٤٠ م)

٦-الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، مدينة أوسالة دار الطباعة المدرسية، ١٨٩٣م.

•ابن سعيد ، علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك الغرناطي(ت:٦٨٥هـ/١٢٨٦م)

٧-المغرب في حلى المغرب، وضع حواشيه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م.

•ابن عذاري ، أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي (كان حيًّا سنة ٧١٢ هـ / ١٣١٢ م)

٨-البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،ط٢، تح: ج.س كولان، ليفي بروفنسال، دار صادر، بيروت ، ١٩٨٠/١٤٠٠م.

•ابن الكردبوس ، أبو مروان بن عبد الملك التوزي (القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي)

٩-قطعة من كتاب الأكتفاء في أخبار الخلفاء بعنوان، تاريخ الأندلس ، تح ، الدكتور أحمد مختار العبادي ، معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد ، ١٩٧١م.

•لسان الدين بن الخطيب ، محمد بن عبد الله السلماني (ت: ٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م)

١٠-تاريخ إسبانيا الإسلامية ، المسمى أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يجر ذلك من شجون الكلام ، تح ، إ . ليفي بروفنسال ، دار المكشوف، بيروت ، د.ت.

•المراكشي ، عبد الواحد بن علي (ت: ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ م)

١١-المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تح ، محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م.

•مجهول ، أبو عبد الله بن أبي المعلى (عاش في القرن الثامن الهجري/ الثالث عشر الميلادي)

١٢-الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، الرباط ، ١٩٦٣م.

•المقري ، أحمد بن محمد التلمساني (ت:١٠٤١ هـ / ١٦٣١ م)

١٣-نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، تح ، الدكتور إحسان عباس ، دار صادر، بيروت ، ١٩٩٧م.

المراجع

•أشباخ، يوسف

١٧-تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة: عبد الله عنان، نشر: مكتبة الخانجي، القاهرة،١٩٩٦م.

•ابن بلقين، الأمير عبد الله بن باديس بن حبوس

٤- التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة، نشر وتح: ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة،١٩٥٥م.

•مؤنس ، حسين

١٨-السيد القمبيطور وعلاقاته بالمسلمين، المجلة التاريخية المصرية، المجلد٣، العدد الأول، القاهرة،١٩٥٠م.

Sources and references

*** Ibn al-Abar, Abu Abdullah Muhammad bin Abdullah bin Abi Bakr al-Qudha'i (T: 658 AH / 1259 AD)**

1- Al-Hillah Al-Sira, 2nd edition, edited by Dr. Hussein Moanes, Dar Al-Maarif, Cairo, 1985.

***Ibn al-Athir, Izz al-Din Abu al-Hasan Ali bin Abi al-Karam al-Shaibani (T: 630 AH / 1232 AD)**

2-Al-Kamil in History, Dar Sader, Beirut, 1979.

*** Al-Humairi, Abu Abdullah Muhammad bin Abdullah bin Abdul-Moneim (T: 900 AH / 1434 AD)**

3-The description of the island of Andalusia, selected from the book Al-Rawd Al-Matar fi Khabar Al-Aqtar, published by: Levi Provencal, Cairo, 1937 AD.

4- Al-Rawd Al-Matar fi Khabar Al-Aqtar, 2nd Edition, Edited by: Ihsan Abbas, Beirut, 1984 AD.

*** Ibn Khalkan, Abu al-Abbas Shams al-Din Ahmad bin Muhammad (T: 681 AH / 1282 AD)**

6- Deaths of notables and news of the sons of time, edited by: Dr. Ihsan Abbas, House of Culture, Beirut, 1968 AD.

Ibn Abi Zar, Abu al-Hasan Ali bin Abdullah al-Fasi (T: 741 AH / 1340 AD)*

7- Al-Anis al-Mutreb in Rawd al-Qirtas in the news of the kings of Morocco and the history of the city of Fez, the city of Usala, the school printing house, 1893 AD.

Ibn Saeed, Ali bin Musa bin Muhammad bin Abd al-Malik al-Gharnati (T: 685 AH / 1286 AD)*

8- Morocco in the Jewels of Morocco, put footnotes by Khalil Mansour, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, 1988.

***Ibn Adhari, Abu al-Abbas Ahmed bin Muhammad al-Marrakshi (712 AH / 1312 AD)**

9- Al-Bayan al-Maghrib fi Akhbar al-Andalus wa al-Maghrib, 2nd edition, edited by: J.S. Colan, Levi Provencal, Dar Sader, Beirut, 1400/1980.

***Ibn Al-Kardabous, Abu Marwan bin Abdul-Malik Al-Tawzi (lived in the sixth century AH / twelfth century AD)**

10- A piece from the book Al-Iktifah fi Akhbar al-Khalifa entitled, History of Andalusia, edited by Dr. Ahmed Mukhtar al-Abadi, Institute of Islamic Studies, Madrid, 1971 AD**.**

Lisan al-Din bin al-Khatib, Muhammad bin Abdullah al-Salmani (T: 776 AH / 1374 AD)*

11- The History of Islamic Spain, called A'mal al-A'laam regarding those who were sold before the wet dream among the kings of Islam, and what follows from that in terms of arguments, Tah, I. Levi Provencal, Dar Al-Makhshoof, Beirut, Dr. T**.**

Al-Marrakshi, Abdul Wahid bin Ali (T: 647 AH / 1249 AD)*

12- Al-Mujeeb fi Takhlis Akhbar Al-Maghrib, ed., Muhammad Saeed Al-Arian and Muhammad Al-Arabi Al-Alami, Al-Istiqama Press, Cairo, 1383 AH / 1963 AD.

***Anonymous, Abu Abdullah bin Abi Al-Mualla (lived in the eighth century AH / thirteenth century AD)**

13- Al-Mawshiyyah Blazers in the Remembrance of Marrakech News, Rabat, 1963 AD.

Al-Maqri, Ahmed bin Muhammad al-Talmisani (died: 1041 AH / 1631 AD)*

14- Al-Tayyib blew from the moist branch of Andalusia, and its minister, Lisan al-Din Ibn al-Khatib, mentioned it, Dr. Ihsan Abbas, Dar Sader, Beirut, 1997.

the Reviewer

Ashbach, Joseph *

15- History of Andalusia during the era of the Almoravids and Almohads, translated by: Abdullah Annan, published: Al-Khanji Library, Cairo, 1996 AD**.**

Ibn Balqin, Prince Abdullah bin Badis bin Habous*

16- Explanation of the incident in the state of Bani Ziri in Granada, published and written by: Levi Provencal, Dar Al-Maarif, Cairo, 1955 AD**.**

Munes, Hussein*

17- Al-Sayyid Al-Kambitur and His Relations with the Muslims, The Egyptian Historical Journal, Volume 3, Number One, Cairo, 1950 AD.